الدكتور إبراهيم السامرائي – وداعاً–

نبذة عن العلامة الفقيد

بقلم د. علي القاسمي (*)

في الوقت الذي كانت فيه المجلة تتهيأ لإصدار عدد من أعدادها الأخيرة وصل نعي الأستاذ *الدكتور ابراهيم السامرائي*، العالم اللغوي الجليل الذي طالما أثرى المكتبة العربية بمؤلفاته وأبحاثه وتحقيقاته ... ونحن بهذه المناسبة ووفاء لذكرى الرجل الذي كان، في حياته في الستينات على اتصال وثيق بالمجلة منذ بداية صدورها، أردنا أن نسترجع شيئا من هذه الذكرى، من خلال كلمة وداع أعدها د. علي القاسمي، انطلاقا من السيرة الذاتية التي حصل عليها من مجمع الأردن بالمناسبة نضعها بين يدي آخر بحث أهداه الفقيد بيده للدكتور عباس الصوري أثناء انعقاد المؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية بالقاهرة (مارس / آذار 2001).

تغمد الله الفقيد في رحمته و إنا لله وإنا إليه راجعون .

ولد اللغوي المعجمي الباحث المحقق المترجم الشاعر، إبراهيم بن أحمد الراشد (الشهير بالدكتور إبراهيم السامرائي)، عام 1923م (سنة 1341 أو 1342 هـ)(**)، في مدينة العمارة وهي حاضرة جنوبي العراق بين بغداد والبصرة، وقد نزح جدّه إليها من مدينة سامراء، الواقعة شمالي بغداد.

توفيت والدته وهو صغير، فكفلته خالته ، وتوفي أبوه بعد ذلك في البصرة غريبا، فكانت طفولته " غير مريحة" كما يقول عنها. وبعد أن حفظ القرآن الكريم في (الكتّاب)، أكمل المدرستين الابتدائية والمتوسطة في العمارة، ثم أكمل المدرسة الثانوية في البصرة، إذ لم يكن في العمارة مدرسة ثانوية آنذاك.

ثم قدِمَ إلى بغداد ودخل دار المعلمين الابتدائية. وبعد تخرّجه منها، صار معلما في المدارس الابتدائية. ثم دخل دار المعلمين العالية (كلية التربية بجامعة بغداد لاحقا)، وكان من أساتذته فيها الدكتور مصطفى جواد (اللغة العربية) ، والدكتور

(*) يشكر المؤلف رئيس مجمع اللغة العربية الأردني الذي تفضل بتزويده بنبذة من السيرة العلمية للدكتور إبراهيم العضو بالمجمع.

(**) أرخ الدكتور السامرائي لميلاده بالعام الميلادي 1923 الذي تقابله السنتان الهجريتان 1341 و1342. و لم نتمكن من تحديد السنة المعنية.

محمد مهدي البصير (الأدب العربي) ، والدكتور عبد العزيز الدوري (التاريخ الإسلامي)، والدكتور مي عقراوي (التربية). وتخرج منها وكان الأول في دفعته بقسم اللغة العربية. ثم عين مُدرسا لمادة اللغة العربية في كلية الملك فيصل ببغداد، وهي مدرسة ثانوية نموذجية تُدرَّس بقية المواد فيها باللغة الإنكليزية.

انضم إلى البعثة العراقية للدراسة في جامعة السوربون بباريس سنة 1949م، وبقي أكثر من سبع سنين هناك. ودرس فيها عددا من اللغات السامية كالعبرانية، والآرامية، والحبشية، والبابلية الآشورية والسبئية، من أجل الوقوف على التطور اللغوي التاريخي. وكان من أساتذته ريجس بلاشير، ولويس ماسنيون، وليفي بروفنسال، وشارل بلا، وجان كانتنو. وحصل على دكتوراه الدولة من جامعة السوربون بدرجة الشرف الأولى. وكان من زملائه في السوربون ثلاثة من العراقيين الذين كانوا يدرسون الأدب العربي وهم، الشاعرة الدكتورة عاتكة وهبي الخزرجي، والدكتور صلاح خالص، والدكتور علي الزبيدي. ومن زملائه المصريين، اللغوي الدكتور حسن ظاظا. ومن زملائه الأردنيين، الدكتور عبد الكريم خليفة الذي كان زميله كذلك في دار المعلمين العالية ببغداد والذي تولى رئاسة مجمع اللغة العربية الأردني فيما بعد.

عاد إلى بغداد عام 1956 م وعُيّن مدرسا في كلية الآداب والعلوم. وخلال وجوده في تلك الكلية، أُوفد للتدريس في جامعات عربية، كجامعات:لبنان ،وبنغازي، والجزائر، والرباط، والسودان، والكويت. وحاضر عدة مرات في "معهد البحوث والدراسات العربية العليا" التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة بين سنة 1962 وسنة1972. وقد صدرت محاضراته تلك في أربعة كتب هي : " التوزيع اللغوي الجغرافي" و " التطور اللغوي التاريخي" و " تنمية العربية في عصرنا" و " الأب أنستاس ماري الكَرْملي". وقد نبغ كثير من طلاب الدكتور السامرائي في الدرس اللغوي في عدد من الأقطار العربية، نذكر منهم، على سبيل المثال لا الحصر، الدكتور أحمد مطلوب، الأمين العام للمجمع العلمي العراقي.

وبعد تقاعد الدكتور السامرائي في العراق عام 1980م، ذهب إلى عَمّان ودرّس في الجامعة الأردنية إلى سنة 1987م، ثم ذهب إلى اليمن ودرّس في جامعة صنعاء، وعاد إلى عمّان سنة 1996، وتوفي فيها في فاتح صفر 1422هـ /25 أبريل/نيسان 2001م.

وكان عند وفاته عضواً في مجمع اللغة العربية في القاهرة، ومجمع اللغة العربية الأردني، ومجمع اللغة العربية في دمشق، والمجمع العلمي الهندي، والجمعية اللغوية الفرنسية.

وقد كتب سيرته الذاتية عام 1995 م في كتاب عنوانه " حديث السنين ".

كان الدكتور إبراهيم السامرائي غزير الإنتاج العلمي؛ تناهز أعماله مائة كتاب، تتوزع بين التأليف والتحقيق والترجمة. ولعل كتابه " الفعل زمانه وأبنيته" وكتابه " التطور اللغوي التاريخي " من أهم مؤلفاته، كما يعدّ كتاب " العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي الذي حققه بالاشتراك مع الدكتور مهدي المخزومي، وديوان محمد مهدي الجواهري الذي حققه وشرحه بالاشتراك مع الدكتور علي جواد الطاهر والدكتور مهدي المخزومي ورشيد بكتاش، من أهم الكتب التي حققها.

وفيما يلي قائمة بمؤلفاته وتحقيقاته وترجماته، التي طُبع بعضها عدّة طبعات:

(أ) المؤلفـــــات:

1-تنمية اللغة العربية في العصر الحديث
2-العربية تواجه العصر
3-الفعل زمانه وأبنيته
4-في شرف العربية
5-في شعاب العربية
6-المدارس النحوية أسطورة وواقع
7-من أساليب القرآن
8-من بديع لغة التنـــزيل
9-من سَعَة العربية
10-من وحي القرآن
11-النحو العربي في مواجهة العصر
12-النحو العربي نقد وبناء
13-الأب أنستاس ماري الكرملي وآراؤه اللغوية
14-التطور اللغوي التاريخي
15-التوزيع اللغوي الجغرافي في العراق
16-دراسات في اللغة
17-رسائل في اللغة
18-السيد محمود شكري الألوسي وبلوغ الأرب
19-العربية بين أمسها وحاضرها
20-الفارابي وعلم اللغة
21-في لغة الشعر
22-مباحث لغوية
23-مع المصادر في اللغة والأدب
24-مع المعري اللغوي
25-دراسات في اللغتين السريانية والعربية
26-العربية تاريخ وتطور
27-فقه اللغة المقارن
28-في تاريخ العربية
29-اللغة والحضارة
30-مقدمة في تاريخ العربية
31-دراسات في تراث أبي العلاء المعري
32-في مجلس أبي الطيب المتنبي
33-في الأمثال العربية
34-لغة الشعر بين جيلين
35-الأعلام العربية
36-إعلام الورى فيما نسب إلى سامرا
37-التكملة للمعاجم العربية من الألفاظ العباسية
38-المجموع اللفيف، معجم في الموارد اللغوية والتاريخية
39-معجم الفرائد
40-معجميات
41-من الضائع من معجم الشعراء للمرزباني
42-من معجم الجاحظ
43-من معجم المتنبي
44-من معجم عبد الله بن المقفع
45-من حديث أبي الندى (أحاديث وحوار في الأدب واللغة والفن والتاريخ)
46-لفيف وأشتات (أحاديث وحوار في الأدب واللغة والفن والتاريخ)
47-نصوص ودراسات عربية وإفريقية في اللغة والتاريخ والأدب
48-قطوف ونوادر
49-في المصطلح الإسلامي
50-في المعجمات العربية القديمة
51-في الصناعة المعجمية
52-حديث السنين ـــ سيرة ذاتية
53-رحلة في المعجم التاريخي
54-الدخيل في الفارسية والعربية والتركية
55-المعجم الوجيز في مصطلحات الإعلام
56-ديوان شعر

(ب) التحقيقات:

1-سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس

2-الكتاب لابن درستويه

3-في التعريب والمعرب (وهو المعروف بحاشية ابن بري على كتاب المعرب)

4-السرج واللجام لابن دريد

5-تمام فسيح الكلام لابن فارس

6-في التذكير والتأنيث لأبي حاتم السجستاني

7-المسائل والأجوبة (مسألة رب) للبطليوسي

8-التعريف بآداب التأليف للسيوطي

9-يفعول للصغاني

10-المتشابه للثعالبي

11-العين للخليل بن أحمد الفراهيدي بالاشتراك مع الدكتور مهدي المخزومي

12-المُرصّع في الآباء والأمهات والبنين والبنات والأذواء والذوات لابن الأثير

13-نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري

14-الزهرة للأصفهاني

15-الزهرة للظاهري

16-نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز لفخر الدين الرازي بالاشتراك مع الدكتور محمد بركات أبو علي

17-رسالتان في اللغة (منازل الحروف ــ الحدود)

18-ديوان ابن الفارض

19- ديوان أبي فراس الحمداني

20-ديوان الجواهري بالاشتراك مع الدكتور علي جواد الطاهر ومهدي المخزومي ورشيد بكتاش

21-شعر عروة بن حزام بالاشتراك مع الدكتور أحمد مطلوب.

22-ديوان القطامي بالاشتراك مع الدكتور أحمد مطلوب

23-ديوان قيس بن الخطيم بالاشتراك مع الدكتور أحمد مطلوب

24-كتاب النخل لأبي حاتم السجستاني

25-شعر الأحوص

26-كشف النقاب عن الأسماء والألقاب لابن الجوزي

27-بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية لأحمد بن موسى بن طاووس

28-رحلة ابن عابد الفاسي من المغرب إلى حضرموت بالاشتراك مع عبد الله محمد الحبشي

29-فلك القاموس لعبد القادر الحسيني

30-الجبال والأمكنة والمياه للزمخشري

31-الشماريخ في علم التاريخ

32-من كتاب ترويح الأرواح ومفتاح السرور والأفراح لأحمد بن محمد جراب الدولة

(ج) الترجمات:

1-التوفيق بين الدين والفلسفة عند الفارابي للويس جارديه

2-خطط البصرة وبغداد للويس ماسينيون

3-محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الإسلام لغويدي

4- من دراسات المستشرقين (مباحث تاريخية)

(د)آراؤه اللغوية:

يعدّ الدكتور إبراهيم السامرائي من كبار اللغويين العرب في القرن الميلادي العشرين. وقد أبدى رأيه في معظم قضايا اللغة كإصلاح النحو العربي ، وأولى اهتماما خاصا لمسألتين إحداهما التطور اللغوي التاريخي، والأخرى تنمية اللغة العربية. ونظراً لممارسته البحث والكتابة مدة طويلة تناهز نصف قرن، فإن بعض آرائه عرف شيئا من التغير. ومن الأمثلة على ذلك رأيه في نقاء اللغة. فعلى الرغم من تفضيله المنهج الوصفي على المنهج المعياري في الدرس اللغوي، فإنه كان أحيانا يميل إلى استهجان الاستعمالات والتعبيرات اللغوية الجديدة، ويقول بخطأ ما خرج عن بناء الكلمة وتجاوز حدّ المألوف من تركيب الجمل. ومن أمثلة ذلك أنه كان يعيب استعمال كلمة "قاموس" بمعنى " معجم" ويرى أن الصواب هو استعمال كلمة "معجم" فقط للتمييز بين كتاب الفيروزآبادي المشهور بالقاموس والمؤلفات المعجمية الأخرى.وكذلك قوله في تقديمه لكتابه "حديث السنين" : "وإني لأرفض مصطلح "السيرة الذاتية" ...لأنه ترجمة لما هو Autobiographie..".

ولكن يبدو أنه أخذ، في آخر حياته، بقبول الاستعمالات اللغوية الجديدة، فقد صرّح في مقال له نُشر بعيد وفاته بعنوان "في الصحافة الإقليمية" قائلا: " لقد كان لي أن سمعت من هذا (الجديد) قول بعض هؤلاء في موعظة دينية: " لقد كان ذلك الأمر الرقم الفريد في المعادلة الصعبة"، وقول آخر: " إن القواسم المشتركة بين الآراء في الأمر هي كذا وكذا..." أقول ليس لي أن أُبعد هذه الصيغ من هذه اللغة الجديدة، فشيوعها ودورانها في مختلف السياقات والظروف يعطيانها القوة. ومن هنا ليس لي إلا أن أثبت مادة الجديد التي باتت كثيرة وتكثر كل يوم." (مجلة الفيصل، ع 306 ص 27)

ومن آراء الدكتور السامرائي " أن اللغة لا يعرفها معرفة وافية، تلك المعرفة التي تمس عقل المرء وقلبه، غير أبنائها، والآخرون الذين عرفوا البيئة اللغوية من غير أبنائها، بخلاطهم ومعايشتهم لأهل اللغة." (السامرائي، حديث السنين: 165)

مصادر الدراسة :

ـــ خلاصة سيرته وقائمة مؤلفاته، بخط يده ، محفوظة في ملفّه في مجمع اللغة العربية الأردني.

ـــ إبراهيم السامرائي، *حديث السنين، سيرة ذاتية* (عمان: دار عمّار، 1998/1418).

ـــ مؤلفاته ومقالاته المنشورة .